قراءة في الدراسات والبحوث المتعلقة باكتساب المهارات القرائية الأساسية للغة العربية التي تضمنها التقرير الصادر عن (ألكسو) تونس2004

أ. حامد أحمد سعد
قسم اللغة العربية– كلية التربية
جامعة الجبل الغربي

مقدمة:

تأتي هذه الورقة قراءةً واستقراءً للتقرير الذي تضمن مسحاً لأهم الدراسات والبحوث، المتعلقة باكتساب المهارات القرائية الأساسية باللغة العربية، الذي وجدتُ فيه كل ما هو مطلوب ومرجو في هذا الأمر، إلا أن هذا المطلوب يحتاج إلى التخليص من خضم كبير، من الكلام في هذا التقرير عن اكتساب المهارات اللغوية الأساسية، لمراحل تعليمية تبدأ من الروضة وتنتهي بالمرحلة الثانوية، وأن موضوع (اكتساب المهارات القرائية والكتابية الأساسية)، يخص بالدرجة

الأولى تلاميذ الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي (الأول–الثالث)؛ لأن المهارات القرائية تعد الهدف الأولي والأساسي لهذه الحلقة (الأول–الثالث) من التعليم الأساسي، وبعدها يدخل التلميذ المرحلة الثانية (الرابع–السادس)، وتصبح مهارة القراءة وسيلة بدلاً من غاية، يحتاجها التلميذ في فهم النصوص، وتنفيذ المطلوب من المقروء، ومن أبرز الأدلة على صدقية هذه المقاربة أن برنامج القياس (piRLS) للهيئة الدولية لتقييم التحصيل التربوي، يُجرى على تلاميذ الصف الرابع، وعليه فإن بناء وتجذير المسارات الدقيقة لتحديد وتوصيف المعالجات، في إطار قابلية التنفيذ بتراتبية الأولويات وانسجامها، لنحقق أقصى الغايات، لا يكون متاحاً إلا ببيان وتوضيح العلاقة بين المرحلة العمرية (الحلقة الأولى)، واكتساب المهارات الأساسية للغة العربية، على أساس بيداغوجيا التعلم الجيد، الذي يشترط النضج، والدافعية، والممارسة، على أساس أن الحالة ملحة جداً لوضع حلول ناجعة لمأزق التعليم المدرسي لمهارات اللغة العربية الأولية: الاستماع، والإنشاء، والقراءة، والكتابة، واستطاع الباحثان في مقاربة تفصيلية مفيدة لهذه المهارات، بفاعلية العوامل والمؤثرات الداخلية والخارجية، أن يصلا إلى ما يسهم بفاعلية على اختيار الحلول الحقيقية لمعالجة مشكلات اكتساب المهارات القرائية والكتابية الأساسية في تعليمها وتعلمها.

وما أردت الوصول إليه هو أن أتعمق في تحليل مرتكزات محتوى هذا التقرير، المتمثلة في: المهارات، واكتسابها، باستكمال صورة المهارات الصغرى والأولية، المكونة للمهارتين الكبريين(القراءة والكتابة)، ومدى فاعلية المؤثر الداخلي أو الخارجي في أيٍ منها، وأيضاً أحاول أن أخلّص من هذا الكم الهائل، حالة خاصة تبرز من خلالها صورة واضحة، تتشاكل فيها المهارات القرائية الأساسية، والحلقة التعليمية الأولى (الأول– الثالث)، وتتضح أهمية تسلسل وترتيب المهارات الأولية، على أساس شروط التعلم الجيد، والمبادئ الأساسية لطرائق التدريس،

وتأخذ مهارة الوعي الصوتي مكانها الحقيقي، كمهارة أساسية وأولية لتعليم وتعلم المهارات القرائية والكتابية، وكذلك أجتهد محاولاً تحديد الأسباب الحقيقية للضعف التعليمي لمهارات اللغة العربية الأساسية، وتقديم مقترحات وآليات المعالجة، وقد قسمت هذا العمل إلى: المهارات اللغوية الأساسية، المرحلة التعليمية (العمرية). المؤثرات الداخلية والخارجية. الخلاصة. والمقترحات.

منطلقاً من الدور الذي يقوم به المهتمون والغيورون على اللغة العربية، والذين يعملون بجد واجتهاد لرصد ظواهر الضعف في استعمالها، ووضع مقترحات وآليات العلاج، وأن الدراسات والبحوث في هذا الشأن عديدة ومتعددة، وهذا التقرير الذي تضمن مسحاً لأهم الدراسات والبحوث، في اكتساب المهارات القرائية الأساسية باللغة العربية، يعدّ من أهمها من حيث إنه استطاع أن يصل إلى تحديد العوامل والمؤثرات الحقيقية لاكتساب المهارات القرائية، باستخدام المنهج المسحي (تحليل المحتوى)، الذي يساعد على تحديد المشكلة وتبرير ظروف الممارسات فيها، بعد عملية مسح وجمع للحقائق والبيانات والآراء المتصلة بموضوع الدراسة، بغرض فهم وإدراك مختلف جوانب وتداخلات وأبعاد الموضوع.

وأنَّ الباحِثِينِ[1] قد نجحا في تحليل أهم مصطلح يدور حوله التقرير (مهارة القراءة)، من حيث إن هذه المهارة هي محطّ وصف اللغة بالضعف، وعلاج الضعف فيها يحتاج إلى تحديد وتوصيف للأسباب والمؤثرات؛ للوصول إلى التخطيط الناجع والآليات المناسبة.

المهارات للغوية:

- **السماع:**

المهارات اللغوية جميعها تترابط فيما بينها ترابطا عضويا، والاستماع يمثل أهمها من حيث الأولوية ودرجة التأثير على تعليم وتعلم المهارات الأخرى، فهو بالنسبة للتلميذ الطفل

مفتاح التعلم عموماً، فالنطق في الأساس يعتمد على السماع، فهو يتطور نتيجة للمحاكاة والتقليد لمشافهة المعلم، وما يسمعه بصورة عامة، ففي بداية التعليم يجب أن يسمع الطفل الصوت أولاً ثم يحاول إعادة لفظه، عن طريق التهجئة والمشافهة في إطار (الوعي الصوتي). ووسائل تنمية مهارة السماع تعتمد على التحفيز وتقوية الدافعية والانتباه للتعلم.

- **الكلام:**

الكلام من المهارات اللغوية الأولية الأربع، حيث إن الكلام يمثل وسيلة الاتصال والتواصل الأولى للطفل قبل دخول المدرسة، ومنزلته من اللغة أنه النشاط الفردي في الإطار الاجتماعي (اللغة) [2].

- **القراءة:**

باختصار أن مهارة القراءة هي: إدراك الرموز المكتوبة والنطق بها، ثم استيعابها وترجمتها إلى أفكار، وفهم المقروء، ثم التفاعل معه، وأخيراً الاستجابة إلى ما تمليه هذه الرموز.

- **الكتابة:**

الكتابة مهارة تأتي متلازمة لمهارة القراءة بعد أن يتدرب التلميذ المبتدئ على:

1- الجلسة الصحية.

2- مسك القلم بالطريقة الصحيحة.

3- رسم الحروف.

وهذا الجانب التقني في هذه المهارة يتعلق بملكات العقل السفلى، المتصلة بالحركة واستخدام اليدين والأصابع، والتحكم في الأعصاب عموماً، أي أن التلميذ يكون قادراً على ذلك بعد النضج الفسيولوجي المحدد بست سنوات. أما الجانب المعرفي العقلي في مهارة الكتابة، فإنه

يرتبط عضويا مع المهارة الأولى القراءة؛ لأن الذي يتهجى للقراءة، يتهجى أيضاً للكتابة، في عملية عقلية تتصل بملكات العقل العليا، وأن الجانب المعرفي هذا يتصل بالنضج الفسيولوجي والعقلي للطفل.

وأن أهمية مهارة القراءة تأتي من كونها مرتبطة بمهارة الكتابة ارتباطاً عضوياً، وأن المعرفة بعمومها تعتمد عل هذه المهارة (القراءة)، وأن أسباب الضعف اللغوي ناتج من الضعف القرائي، وأن الضعف الإملائي والكتابي أساسُه وأهم أسبابه الضعف القرائي؛ لأن تعليم قواعد الإملاء يعتمد أساساً على القدرة القرائية، في معرفة ونطق صوامت وصوائت اللغة العربية، حيث لا نستطيع تعليم قواعد رسم الهمزة المتوسطة، إلا إذا كان التلميذ يتقن المقطع الصوتي للكلمة، من حيث الحرف والحركة؛ لأن قاعدة رسم الهمزة المتوسطة تقول: " ترسم الهمزة المتوسطة على مجانس أقوى الحركتين: حركة الهمزة وحركة ما قبلها". مثال:

رُسمت الهمزة في كلمة (مُؤْتَمَرْ) على الواو؛ لأن الهمزة ساكنة وما قبلها مضموم، وأن الضمة أقوى من السكون، والواو مجانس الضمة.

إذن مسألة الضبط والشكل مسألة لا تحتاج إلى نقاش، ولا قيمة لأي كلام مكتوب من غير ضبط أي من غير حركات وسكون، في هذه المرحلة التعليمية.

وأن هذا التقرير جاء معالجاً لاكتساب مهارة القراءة والكتابة، وأنه كان امتداداً لاهتماماتي السابقة، الأمر الذي دفعني للوقوف عنده قراءة واستقراءً؛ لأضيف إلى نتائجه ما يمكّن من بناء مقترحات وخطط للتطوير.

المرحلة العمرية:

لم أقصد من هذا العنوان أن أتكلم عن مراحل النمو، فهو أمر قد لا يتسع المجال له، كما أن الموضوع لا يتطلب ذلك، وإنما أقصد مرحلة بعينها وهي المرحلة العمرية للتلميذ المبتدئ

(الصف الأول)، التي تمثل بداية الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، المحددة بست سنوات، وما يتصل بالنمو اللغوي للطفل خلالها.

عليه ينبغي الإشارة في عجالة إلى النمو اللغوي عند الطفل، الذي يبدأ واضحاً في العام الثالث من عمره، عن طريق نمو ملموس في تكوين وبناء الجمل، تبدأ من البسيطة المكونة من كلمة واحدة، وتتدرج إلى الأكبر فالأكبر، عن طريق السماع والسؤال، والمحاكمات العقلية العميقة، وأهم ما يساعده في ذلك البيئة الداعمة والمحفزة.

خلاصة القول:

- أن الطفل يدخل المدرسة في السادسة من عمره، في مرحلة امتلك فيها اللغة الأم، وأصبح قادراً على الاتصال والتواصل بكفاية، تمكنه من التعبير عن حاجاته ورغباته بكل دقة وإتقان.
- أن الطفل في هذه المرحل (قبل المدرسة)، قد تمكَّن من عموميات اللغة، التي دعاها تشومسكي (قواعد التحويل)[3]، التي تمثل الأساس في تحويل البنية الداخلية، التي تتألف من وحدات المعنى المتمثلة في وحدات كلامية منفردة، بعضها يعبر عمّا تعبر عنه المفردات اللغوية المعروفة، وبعضها يعبر عن معانٍ نحوية كالإفراد والجمع، والزمان والمكان، والملكية وغيرها، وأن المتكلم يستخدم قوانين وقواعد لتحويل تلك البنية الباطنية إلى بنية خارجية هي الكلام المنطوق فعلاً[4]، وهذه العموميات هي:

أ- المذكر والمؤنث، حيث إن الطفل قبل المدرسة يعرف المذكر والمؤنث، وفي الغالب لا يخطئ في استعماله.

ب- المفرد والجمع، يستخدمه بالدرجة الكافية، فقط أنه لا يفرق بين المثنى والجمع، والحقيقة أن المثنى هو جمع...

ج- الزمان: الماضي، والحال، والمستقبل، الطفل قبل المدرسة يستخدمه بكفاية تمكنه من التعبير عن حاجاته ورغباته.

د- الملكية، لا يخطي الطفل في استخدام هذا المعنى فيقول: هذا لأحمد، وهذا لأبي، وهذا لأمي...إلخ.

والسؤال المطروح: كيف تَعلَّمَ الطفل هذه القواعد لوحده قبل دخول المدرسة؟

الإجابة: أن الطفل يَعْلَمُ بشكل آلي أنَّ في اللغة بنيتين: إحداهما داخلية والأخرى ظاهرية، كما يَعرفُ تلك القواعد التي تحوِّل الأولى إلى الثانية، باستخلاص هذه القواعد واستخدامها، من ذلك الخضم المتلاطم من الكلام، الذي يسمعه في أثناء، التفاعل مع البيئة المحيطة، والمؤلَّف من خليط غير مفهوم من الأصوات، وأن هذه الفرضيات تكون ساذجة في أول أمرها، ثم يبدأ الطفل بتعديلها تدريجياً، عن طريق تلك المحاكمات العقلية العميقة، التي تصدر أحكامها النهائية بناءً على التساؤلات والاستماع والفهم الإدراك، واستبدال الفرضيات وتعميمها[5].

ومن أهم الدراسات التي أجريت في هذا الشأن: دراسة لفيجوسكي روسيا، ودراسة لماكنيل جامعة شيكاغو، ودراسة للوي بلوم جامعة كولومبيا[6].

وأن هذه الأخيرة أجرتها على أطفالها الثلاثة بطريقة مستمرة للغاية، وأكدت أن الجمل المكونة من كلمتين لها نظاماً نحوياً ثابتاً يعتمد على قواعد، وأن الطفل يعبر بواسطتها عن علاقات كعلاقة الفاعل بالمفعول به، وعلاقة المكان، وعلاقة الملكية، وعلاقة الزمان وغيرها. وعليه يمكن التأكيد على حقيقة أن الأطفال في هذه السن المبكرة، من الأول إلى الرابع خلّاقون في اللغة التي يستعملونها، بدليل استخدامهم تراكيب لم يسمعوا بها من قبل[7].

وهذا الأمر يمثل قيمة بالغة الأهمية، تستوجب بطلان الاعتقاد القائل بأن المدرسة الابتدائية تُعلّم الطفل المبتدئ اللغة، والحقيقة أن دور المدرسة ينحصر في تعليم الطفل مهارات اللغة القرائية والكتابية وغيرها؛ لأن الأمر بكل بساطة أن الطفل المبتدئ يأتي المدرسة وهو يمتلك زمام اللغة الأم.

عليه ينبغي أن ينصبَّ الاهتمام والتركيز على هذه المرحلة العمرية، من الأول إلى الثالث (6–9)، فيما يخص المهارات الأساسية، وترتيبها حسب الأولوية في التعليم والتعلم، بل يجب أن يتم ذلك بصورة دقيقة حتى لا يتكرر الأمر، الذي نعمل الآن من أجل معالجته.

العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة في اكتساب مهارات القراءة والكتابة:

-العوامل الدّاخليّة:

المؤثرات الداخلية تخصُّ اللُّغة من داخلها، واللُّغة عرّفها القدماء بأنّها: " أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"[8]، وعرّفها بعض المحدثين بأنَّها: " منظومة من العلامات والمعاني أساسها الصَّوت، تعتمد في أداء وظيفتها على رموز اعتباطية"[9].

وأنَّ اللُّغة في داخلها منظومة تتكون من مجموعة من النّظم الفرعيّة، وهي: النّظام الصّوتي، والنّظام الصّرفي، والنّظام التّركيبيّ (النّحويّ)، والنّظام الدَّلاليّ، الّتي أشار إليها تعريف المحدثين.

وإذا حاولنا أن نحلل العوامل الدّاخلية، بهدف تحديد أولوية التأثير على اكتساب المهارات القرائية الأساسية، في إطار التعريفين: الراهن والمأثور، وسببية المرحلة العمرية (الأول– الثالث)، نتبين التالي:

- المهارات القرائية والكتابية الأساسية من أهم الأهداف التربوية التعليمية لهذه الحلقة (الأول– الثالث).

- الوعي الصوتي مهارة أولية، يجب أن تكون هدفاً مدروساً بتقنيات محددة وآليات واضحة، للوصول من خلالها إلى الغاية الكبرى في هذه الحلقة (القراءة والكتابة)، بمعنى أن أهم المؤثرات الداخلية لاكتساب المهارات القرائية والكتابية للتلاميذ المبتدئين على الإطلاق، هو الوعي الصوتي الذي كان في القديم أساساً لتعليم وتعلم مهارات القراءة والكتابة، في الكتاتيب وحلقات العلم في المساجد[10]، تحت عنوان ما يعرف (بالتهجئة والمشافهة)، والمحدثون من علماء اللغة قالوا بأن تعليم وتعلم مهارات اللغة القرائية والكتابية تبدأ بالمقطع الصوتي، المكون من الصوامت والصوائت، والحقيقة أن مصطلح التهجئة يمثل الممارسة العملية للوعي الصوتي، معنى ذلك أننا وصلنا إلى مقاربة دقيقة، تبين أن سبب الضعف القرائي والكتابي الراهن بالمقارنة مع المأثور، أن المدرسة الحديثة التي قامت على أنقاض الكتاتيب وحلقات الدرس، لم تتمكن من معرفة وتبني هذا الأسلوب التعليمي الوحيد في هذا المجال.

وما يؤكد صدقية هذه المقاربة، أن اللغة بناء على تعريفها الراهن والمأثور، أساسها الصوت، وأن الدراسات التي شملها التقرير موضوع الورقة، أثبتت أن الوعي الصوتي هو مهارة أولية وأساسية، لتعليم وتعلم المهارة الكبرى القراءة، بمعنى أن الوعي الصوتي هدف أولي في هذه المرحلة، عن طريقه نصل إلى تحقيق الغاية المنشودة القراءة والكتابة بالكفايات المطلوبة. وأن هذه الدراسات: والبحوث العربية استهدفت المرحلة الابتدائية بنسبة 60% من الدراسات التي شملها المسح، وأكدت جميعها على أهمية الوعي الصوتي (القدرة على معرفة أجزاء الكلمة، مثل المقطع والصوت)، مهارة أساسية أولية ترتبط ارتباطاً دالاً إحصائياً بمهارة فك الرموز، في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية[11].

وخلاصة نتائج هذه الدراسات والأبحاث أكدت على أن أهم المؤثرات الداخلية هو (الوعي الصوتي)، كما أشارت هذه الدراسات إلى التشابه الكبير في أن الوعي الصوتي كمهارة أساسية (أولية) لتعليم وتعلم المهارات القرائية والكتابية، في اللغتين العربية والإنجليزية رغم اختلاف اللغتين وطريقة كتابتهما.

وأَجمَلَ الباحثان التوجيهات في هذا الشأن على النحو التالي:

1- ضرورة التركيز على تعليم مهارة الوعي الصوتي (التعرف على أجزاء الكلمة، أي مقاطعها الصوتية)، وتدريب التلاميذ المبتدئين عليها.

2- ضرورة تضمين هذه المهارة في جميع كتب تعليم اللغة العربية، والمقررات في جميع الدول العربية.

3- ضرورة تضمين كيفية تدريس هذه المهارة للمعلم وبرامج تدريب المعلم على ذلك.

وبهذا ينبغي أن أقول:

أولاً- يتوجب الأخذ بهذه التوجيهات والنتائج، ومحاولة تطبيقها كاملة، بحيث يتركز كل الجهد والوقت على هذا المؤثر الداخلي (الوعي الصوتي)، تعليماً وتعلماً للمهارات القرائية والكتابية، حينما نكون بصدد الحديث عن تلاميذ الحلقة الأولى من المرحلة الابتدائية، وأن نرجئ الاهتمام بالعوامل الداخلية الأخرى: الوعي الصرفي، الوعي التركيبي، الوعي بالمفردات وغيرها، إلى المراحل اللاحقة في المدرسة الابتدائية، لسببٍ بسيط هو أن هذه المهارات تتأسس على صيغة الكلمة العربية، التي أساس تكوينها الصوت، من خلال اعتمادها عل صوامت وصوائت اللغة العربية، المكونة للمقطع الصوتي، بمعنى أن الاهتمام بهذه المهارات يجب أن يكون في المرتبة اللاحقة، بعد الوعي الصوتي؛ لأن معظمها يتحقق في إطار النمو اللغوي، بعد أن يتمكن التلميذ المبتدئ من المهارات القرائية والكتابية الأساسية.

وهذا ما أكدته نتائج هذه الدراسات والأبحاث التي شملها المسح في هذا التقرير.

وكذلك أن التعليم في القديم (الكتاتيب، وحلقات الدرس) يؤكد أن تعليم المبتدئ المهارات القرائية، التي تبدأ بمعرفة الحروف، ونطق أصوات ومقاطع الكلمة العربية عن طريق التهجئة (الوعي الصوتي)، والمشافهة، على أساس الممارسة، التي تعني التكرار الموجه، تطبيقاً لقول إمام العربية سيبويه: " الحروف أتممتها اثنين وأربعين حرفا جيدها ورديئها تؤخذ مشافهة..." [12] وأن علماء اللغة المحدثين يؤكدون ذلك تماماً.

ثانياً– تأكَّدَ بما لا يدع مجالاً للشك أن تعليم وتعلم المهارات القرائية والكتابية للمبتدئين، تبدأ وتعتمد وتتأسس على المهارة الأساسية والأولية (الوعي الصوتي)، وأن طريقة تعليمها للمبتدئين، تأتي من خلال تطوير دليل تعليم المهارات القرائية والكتابية الأساسية، في مقاربة دقيقة تجمع وتجلي خيوط التقارب بين المصطلحات: الوعي الصوتي، التهجئة، الحرف، المقطع، المشافهة، الممارسة، في صياغة عملية سهلة وقريبة اللغة، في دائرة الطريقة الانتقائية المزدوجة بين الجزئية والكلية، مع إدراك أن مصطلح الوعي الصوتي من الناحية العملية الموضوعية، يستوعب كل المصطلحات الأخرى، الأمر الذي برر اهتمام البَاحِثَينِ بالمقطع الصوتي للكلمة العربية في التقرير[13].

وأما الحديث عن بقية المؤثرات الداخلية فلا ينبغي الالتفات إليها مطلقاً للأسباب التي ذكرناها في هذه المرحلة، وأن التقرير يؤكد ذلك، ففي تناوله للوعي الصرفي من خلال نتائج بعض الدراسات التي تشير إلى أن مهارة الوعي الصرفي تعتمد على مهارة فك الرموز، وبعضها يؤكد على ما أكدنا عليه في أن هذه المهارة (الوعي الصرفي) ينبغي الاهتمام بها في المراحل المتأخر[14]، وكذلك الوعي بالتراكيب أشارت نتائج بعض الدراسات، ومنها دراسة أبي ربيعة (1995)، التي أثبتت أن العوامل الرئيسة المتنبئة بالقراءة في العربية في عينة البحث هي

الوعي الصوتي والقدرة على التفاعل مع أصوات العربية، وتأتي بعده المهارات الأخرى، الوعي الصرفي، والوعي التركيبي وغيرها[15].

والكلام عن الازدواجية اللغوية كمؤثر في اكتساب المهارات القرائية والكتابية، ففي رأيي المتواضع أنها لا تمثل شيئاً من هذا، إلا أنها تمثل السبب الرئيس في وجوب الاهتمام بمسألة الوعي الصوتي، على اعتبار أن اللهجة هي مظهر صوتي مخالف للغة الفصيحة، وأن بعض الدراسات تشير إلى الاهتمام بترتيب الحروف الهجائية العربية، في أثناء بناء محتوى مناهج المبتدئين على أساس الاستخدام الصوتي في لغة البيت (اللهجة)، بطريقة الانتقال من الأسهل إلى الأصعب، على حسب خصوصية اللهجة المحلية في كل دولة حسب ظروفها اللغوية[16]، اعتماداً على أن الطفل يمتلك اللغة الأم، ويستخدم من مستوياتها ذلك المستوي المتصل باللهجة المحلية.

وأن ما أشار إليه صايغ حداد(2003)[17]، في الدراسة التي دلت نتائجها على أن الاختلاف بين أصوات الفصحى واللهجة، يحد من قدرة التلاميذ على تطوير مهارة الوعي الصوتي.

يعدّ أمراً طبيعياً؛ لأن اللهجة مظهر صوتي مخالف في الغالب للفصحى، وهذا الاختلاف هو الذي استوجب الاعتماد على الوعي الصوتي، كأساس لتعليم وتعلم المهارات القرائية والكتابية، ولو لم يكن هذا الاختلاف لما كان هناك مبرر للاهتمام بالوعي الصوتي، هذا عن الازدواجية ومهارة الوعي الصوتي، أما الحديث عن التباين بين اللهجة والفصحى، فإنني أقول التالي:

إن الفصحى واللهجة مستويان أو شكلان رئيسيان للسان واحد، بينهما من التباين والاختلاف حدٌ لا يجعلهما لسانين متغايرين، تتوسط الترجمة بينهما، وتؤدي هذه المغايرة إلى

ضرر في التواصل بين أبناء المجتمع العربي، والدليل على صحة هذه المقاربة أن العربيّ الأميّ يفهم الكلام الفصيح في: نشرات الأخبار، والخطب الفصيحة، والبرامج المتلفزة بالفصحى.

وعليه أن اللهجة لا تمثل عائقاً في طريق اكتساب التلميذ المبتدئ المهارات القرائية للغته الفصحى، بل إنها مُعِين لهذا الاكتساب ومَعِين له، وأن المجال لا يتسع للخوض فيها[18]. أما مسألة المفردات فإنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنمو اللغوي، الذي يتصل بالبيئة المحفزة، سواء أكانت المدرسة أم البيت والمجتمع بأسره.

العوامل الخارجية (طرق التدريس، المنهج، المعلم).

أولاً- طرق التدريس:

إن طرق تدريس الأطفال المبتدئين المهارات القرائية والكتابية، تحتاج إلى اهتمام خاص يختلف تماماً فيما لو كان الأمر يتعلق بغيرهم من تلاميذ المرحلة الابتدائية، وأن الأمر أصبح واضحاً تماماً، من خلال ما تمّ عرضه في السابق، في أثنا الحديث عن العوامل الداخلية، وحيث إن نتيجة القراءة والاستقراء فيما عرضه هذا التقرير من دراسات وبحوث، أكدت تأكيداً قطعياً أن الوعي الصوتي مهارة أساسية أولية، لاكتساب المهارات القرائية والكتابية لتلاميذ الحلقة الأولى (الأول- الثالث)، وأيضاً أنه لا ينبغي الاهتمام بغيره من المؤثرات الداخلية في هذه المرحلة الحساسة والدقيقة.

هذه النتيجة تلزمنا بالطريقة التعليمية الوحيدة التي لا يختلف عليها اثنان، وهي الطريقة الكلية التحليلية، ففي كيفيتها تتضح وتبرز دلالة المصطلحات: الوعي الصوتي، التهجئة، الصوت، الحرف، المقطع، الصوتي، المشافهة التكرار الموجه (الممارسة).

هذه الطريقة تخص المهارات الأساسية تعليماً وتعلماً، لأطفال هذه الحلقة وتبدأ بالخطوات الآتية:

1- الكلمة مقترنة بصورة، بشرط أن تكون اسم لذات، يُدرك بالحواس، وأن تكون بسيطة في تكوينها المقطعيّ، وأن تبدأ بحرف أكثر استعمالاً عند التلميذ.

2- بعد أن يتعرف التلميذ على الكلمة ويقرنها بالصورة، يتم تحليلها إلى مقاطعها الصوتية.

مثال: دَارٌ = دَا / رٌ

وعن طريق النطق السليم لمقاطع الكلمة، والمشافهة والتكرار، يتمكن التلميذ من نطق الكلمة نطقاً سليماً.

ومن مزايا هذه الطريقة: أنها تلتزم بالمبادئ الأساسية لطرائق التدريس، وأنها تعالج المشكلات الصوتية: الحرف الساكن، والشدة، واختلافات الأصوات المتحركة من حيث كمية الصوت، والمد بأنواعه، من خلال التحليل وإعادة التركيب للكلمة العربية، بالاعتماد على مهارة الوعي الصوتي، والتهجئة، أمثلة في تحليل وإعادة تركيب الكلمة العربية[19]:

- بَابٌ = بَا + بٌ — بَابٌ
- مَسْجِدٌ = مَسْـ + جِـ + دٌ — مَسْجِدٌ
- حَدّاد = حَدْ + دَا + دٌ — حَدّادٌ
- إِفَادَةْ = إِ + فَا + دَةْ — إِفَادَةْ
- إِبْرَةٌ = إِبْـ + رَ + ةٌ — إِبْرَةٌ

مع الاستعانة ببطاقات الكلمة، والحرف، والمقطع، ولوحات الخبرة، وأن يشارك التلاميذ في إعدادها.

هذه نبذة مختصرة عن الطريقة الكلية التحليلية، أما الطريقة الجزئية التي كثيرا ما يُتحدث عنها فإنها لا تعدو كونها وسيلة لحفظ الحروف الهجائية، بأسمائها وأشكالها الكتابية، هكذا:

أ ب ت ث ج ح خ ـــــ ألفٌ باءٌ تاءٌ ثاءٌ جيمٌ حاءٌ خاءٌ

من الألف إلى الياء.

وأن بعظهم يسميها الطريقة الصوتية، هذه التسمية جاءت من أن هذه الطريقة يُعتمد عليها في تعليم الحروف في حالة الحركة، هكذا:

أَ إِ أُ ـــــ بَ بِ بً

وهذا أمر غير مجدٍ؛ لأن هذه الطريقة التي تتعامل مع الحروف خارج الكلمة، تكون عاجزة تماماً عن معالجة المشكلات الصوتية: السكون، الشدة، كمية الصوت، والمد وغيره. وأن دورها يبقى في حفظ الحروف بأسمائها وأشكالها الكتابية، وترتيبها التقليدي المعروف.

وبناء عل ذلك فإن الأمر يتطلب المزج بين هاتين الطريقتين الجزئية، والكلية التحليلية، لإنتاج طريقة توليفية تكاملية، تجمع مزايا الطريقتين. اعتماداً على القيمة الوظيفية لكل منهما.

أمّا خلاصة التقرير المتعلق بطريقة التدريس التي أشار فيها إلى أن الدراسات أثبتت أن الطريقة الجزئية في التدريس (الصوت والحرف أولاً ثم تركيب الكلمات ثم الجمل) أفضل من الطريقة الكلية التحليلية[20]...

كلام غير دقيق للأسباب الآتية:

أن الطريقة الجزئية البنائية تعتمد على معرفة الجزء (الحرف أو الصوت)، ثم الانتقال إلى الكل (الكلمة)، وهذا محال من الناحية العملية بالآتي:

1- هذه الطريقة (الجزئية البنائية) عاجزة تماماً على معالجة الحرف الساكن خارج الكلمة. حيث يمكن نطقه متحركاً، بـَـ بـِـ بـُـ

ولا يمكن نطقه خارج الكلمة ساكناً هكذا: (بـْـ).

وهذا الأمر يعدّ من أهم الأسباب المؤدية للضعف القرائي، في معظم أقطار الوطن العربي.

2- هذه الطريقة لا تستطيع البتة أن تفي بمتطلبات نطق الحرف المشدد خارج الكلمة.

3- أن التعامل مع كل أصوات اللغة العربية خارج الكلمة والجملة، يعدّ ضرباً من المستحيل؛ لأن الأصوات تتأثر في نطقها من مقطع لآخر، ومن كلمة لأخرى؛ لأسباب صوتية محضة، يمكن إدراكها من خلال الفرق الصوتي في الهمزة المكسورة بين الكلمتين: إِبْرَاهِيمْ، وإِعَادَةْ.

عليه فإن هذه الطريقة تساعد فقط على حفظ الحروف الهجائية، اسماً وشكلاً كتابياً، ولا تساعد على نطق الأصوات والحروف والمقاطع، لذا فهي لا تنفع بتاتا لتعليم وتعلم المهارة الأساسية (الوعي الصوتي)، وأن الاستفادة منها يكون من خلال الطريقة التوليفية التكاملية المشار إليها سلفاً.

المناهج:

أهم ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو العلاقة بين محتوى المنهج، وطريقة التدريس، والمرحلة العمرية، وأن محتوى منهج الحلقة الأولى من المرحلة الابتدائية، تحصيل حاصل في بنائه على أساس تعليم وتعلم المهارة الأساسية (الوعي الصوتي)، الأمر الذي يؤكد أن محتوى منهج هذه المرحلة في هذا المجال، لابد أن يصاغ على أساس الطريقة المشار إليها سلفاً

(التوليفية أو التكاملية)، التي تجمع بين مزايا الطريقتين: الجزئية، والكلية التحليلية، في مسار تراتبي تمّ توضيحه في الصفحات السابقة بالأمثلة المباشرة.

خلاصة القول:

نتيجة الاستقراء التي تقول: "إن مهارة الوعي الصوتي (فك الرموز)، من أهم المهارات الأساسية الأولية لتعليم وتعلم المهارات القرائية والكتابية، كغاية كبرى في هذه المرحلة"، تلزمنا إلزاماً ببناء محتوى مناهج هذه المرحلة على أساس الطريقة (التوليفية التكاملية)، المشار إليها في تحقيق الهدفين الأساسيين:

1- حفظ الحروف، اسماً، وشكلاً كتابياً، على حسب ترتيبها الهجائي.

2- نطق أصوات ومقاطع الكلمة العربية، في إطار الهدف الأساسي(فك الرموز) أو الوعي الصوتي.

المعلم:

يعد المعلم أهم العناصر الأساسية والفاعلة في العملية التعليمية، حيث إن المعلم القادر الكفؤ يستطيع أن يكمل النقص في محتوى المنهج، ويصلح الأخطاء فيه، ويقدم المقترحات الناجحة للتطوير والتحديث، من خلال المباشرة العملية لعمليات التدريس، وبالجملة فإنه يمثل النجاح لأي برنامج تربوي يُقدم للتلاميذ والطلاب، فهو المسؤول عن تحقيق الأهداف التربوية، والأهداف الخاصة بكل مادة تعليمية.

وعليه فإن كل هذا يحتاج إلى أن يتزود المعلم بكفايات مهنية تمكنه من ذلك، وأن التقرير في تحليله لنتائج الدراسات والبحوث في هذا المجال أشار إلى الكفايات المهنية للمعلم في صورة إجمالية عامة، وهي: القدرة على إدارة الصف، وتخطيط وتنفيذ الدرس، والتوجيه

والإرشاد، والتقويم المستمر، والقدرة على اختيار الطريقة المناسبة لتلاميذه والمادة المتعلَّمة، والقدرة والمهارة في استخدام وتوظيف الوسائل التعليمية على اختلافها[21].

والملاحظ أن هذه الكفايات التي تناولها التقرير، جاءت عامة تتعلق بالمعلم وعمليات التدريس في جميع مراحل التعليم، وما أردت الإشارة إليه هو أننا بصدد الحديث عن مرحلة تعليمية محددة (الحلقة الأولى)، من مرحلة التعليم الأساسي، واكتساب المهارات القرائية والكتابية الأساسية، معنى ذلك أن الموضوع بمجملته يتصف بالأساسي والأولي، الأمر الذي يستوجب ما يشابك ذلك من البيان والتفصيل والإضافة، للكفايات المهنية لمعلم المهارات القرائية والكتابية الأساسية للحلقة الأولى، فالموضوع حساس ودقيق، ولا يتحمل السهو أو الغفلة أو الخطأ؛ لأن علاج الاكتساب الخاطئ للمهارات القرائية يصعب بل يستحيل علاجه لاحقاً[22].

وعليه يمكن القول:

بالإضافة إلى ما ذكر في التقرير من كفايات مهنية عامة للمعلم، تجعله إنساناً متمكناً ومساهماً ومستفيداً من التنمية البشرية[23]، بالإضافة إلى ذلك يجب أن أضيف كفايات مهنية لمعلم الحلقة الأولى (الأول– الثالث)، تجعله قادراً على تمكين تلاميذ هذه الحلقة من المهارات القرائية والكتابية، في إطار الوقت المخصص لذلك، وهذه الكفايات هي:

1– معرفة كاملة بخصائص النمو: الفسيولوجية، والسيكولوجية، والعقلية للتلميذ الطفل، وأيضاً الخصائص الحيوية والحركية، والسلوكية المباشرة، واللغوية، التي تعتمد على كثرة التساؤلات وتكرارها، وسذاجتها أحياناً، فهذه أدوات ومعاول نجاح العمليات العقلية، في استبدال وتصحيح الفرضيات الخاطئة، حيث إن لغة الطفل تنمو نمواً يحتاج إلى الدعم والتحفيز، والتوجيه والإرشاد.

2- المعرفة الكاملة لمفهوم التهجئة، عن طريق المقطع الصوتي للكلمة العربية، بحيث يكون المعلم في هذه المرحلة قادراً على تحديد مفهوم المقطع، والصوت، والحرف، والتفريق بينهم في عمليات النطق والمشافهة.

3- سعة الصدر والقدرة على استيعاب الطفل في هذه المرحلة، من حيث كثرة الحركة والنشاط الزائد، وتكرار الأسئلة وغيرها.

النتائج:

1- الوعي الصوتي كمؤثر داخلي هو العامل الأساسي والأولي المباشر، لتطور اكتساب المهارات القرائية والكتابية، من خلال المعالجة الفونولوجية (الأصواتية)، لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي.

2- إرجاء الاهتمام بالعوامل والمؤثرات الداخلية الأخرى، إلى المراحل اللاحقة للحلقة الأولى.

3- الطريقة (التوليفية التكاملية) تعد الوحيدة لتعليم وتعلم المهارات القرائية والكتابية.

4- الكفايات المهنية الخاصة لمعلم الحلقة الأولى (الأول- الثالث) اللغوية خصوصاً، أهم ما ينبغي الاهتمام به لاكتساب التلميذ المبتدئ، المهارات القرائية والكتابية.

5- أن السبب الحقيقي لهذا الضعف هو ذلك التهيب والعزوف[24]، الذي يحدث للتلميذ المبتدئ بسبب عدم التمكن من المهارات القرائية والكتابية الأساسية في هذه المرحلة، بمسببات تتعلق بكفايات المعلم المهنية، ومحتوى المقرر الدراسي، وطرق التدريس.

6- البرامج والخطط التنفيذية في هذا المجال، ينبغي أن تبنى على أساس أن أهم مخرجات التعلم لهذه الحلقة (الأول-الثالث)، قدرة التلميذ على القراءة والكتابة؛ لأن اكتساب المهارات الأساسية تعد هدفاً أصيلا لهذه المرحلة.

7- محتوى منهج مهارات اللغة العربية، ينبغي بل يجب أن يبنى على أساس النتائج السابقة، وشروط التعلم الجيد، والمبادئ الأساسية لطرائق التدريس.

التوصيات:

1- عقد لقاء أو ورشة عمل لمناقشة محتوى التقرير، وتحليل نتائج الدراسات والبحوث المتعلقة باكتساب المهارات القرائية والكتابية للحلقة الأولى، في إطار الآتي:

أ- توصيف دقيق لمسببات الضعف التعليمي لمهارات اللغة العربية الأساسية، ومقارنتها مع تلك المسببات، التي أجملها كتيب أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي في ثلاث نقاط: الازدواجية اللغوية. الثنائية اللغوية. المنظومة التعليمية[25]، التي أراها غير دقيقة، وخصوصاُ الازدواجية اللغوية التي تعدّ أمراً بديهياً[26].

ب- اقتراح خطة متكاملة لعلاج مشكلة الضعف التعليمي للمهارات القرائية والكتابية.

ج- إبراز وبيان طريقة تعليم المبتدئين الأطفال للمهارات القرائية والكتابية، قديما في الكتاتيب والمساجد، وإظهارها في صورة حديثة، من خلال التطابق الكامل مع آليات تنفيذ المتطلبات التدريسية، لمهارة فك الرموز (الوعي الصوتي)، المتمثلة في التهجئة والمقطع الصوتي للكلمة العربية. بمعنى بعث هذه المعرفة القديمة في صورة جديدة.

2- إعادة النظر في دليل المعلم لمادة اللغة العربية للصفوف: الأول، الثاني، الثالث، الصّادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، على أساس النتائج السابقة.

3- مراجعة كتب اللغة العربية للصفوف: الأول، الثاني، الثالث، الصّادرة عن ذات المنظمة، على أساس نتائج الدراسات والبحوث التي تضمنها هذا التقرير.

هوامش البحث:

1- د. جاد البحيري، د. عبد الستار محفوظي.

2- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها. تمام حسان، دار الثقافة- الدار البيضاء المغرب 1994 ص32.

3- ينظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. نايف خرما- عالم المعرفة 1978، ص129.

4- ينظر المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

5 -ينظر المصدر السابق نفسه، ص 130.

6- ينظر المصدر السابق نفسه ص131.

7- ينظر المصدر السابق نفسه، ص132.

8- ينظر الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق عبد الحكيم محمد- المكتبة التوفيقية ص44.

9- ينظر التمهيد في علم اللغة. د. محمد خليفة الأسود، الطبعة الثانية- منشورات جامعة السابع من أبريل 1425، ص9.

10- ينظر أسباب ومسببات تدن مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي ص54.

11- ينظر مسح أهم الدراسات والبحوث المتعلقة باكتساب المهارات القرائية الأساسية باللغة العربية. جاد البحيري، وعبد الستار محفوظي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم2014 تونس. ص 31-34.

12- الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون. الطبعة الثالثة 1988- مكتبة الخانجي القاهرة 354/4.

13- ينظر مسح أهم الدراسات والبحوث في اكتساب المهارات القرائية الأساسية باللغة العربية ص18،19.

14- ينظر المصدر السابق نفسه ص37.

15- ينظر المصدر السابق نفسه.36- 38.

16- ينظر المصدر السابق نفسه ص 45.

17- ينظر المصدر السابق نفسه ص41.

18- ينظر وقائع ندوة اللغة العربية وتعلمها. الإشكاليات وأفاق الحلول- اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية والثقافة والعلوم. فبراير2004. ص78.

19-ينظر لغتي الجميلة، كتاب التلميذ للصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي ليبيا، حامد أحمد سعد، الأستاذ أبو النور أبو نعامة، الدكتور عبدالله عبد الحميد سويد الطّبعة 2014- 2015.

20- ينظر مسح أهم الدراسات والبحوث المتعلقة باكتساب المهارات القرائية الأساسية، جابر البحيري، وعبد الستار محفوظي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص48.

21- ينظر المصدر السابق نفسه 49-51.

22- ينظر الكفايات المهنية لمعلم المرحلة الابتدائية، ورقة علمية حامد أحمد سعد، المؤتمر الوطني للتعليم طرابلس ليبيا 2012.

23- بنظر التنمية البشرية في عالم متغير، دراسات في المجتمع الليبي لعلي الحوّات- الطّبعة الثالثة 2015- منشورات الجامعة المغاربية طرابلس ليبيا ص57.

24- ينظر أسباب ومسببات تدني مستوى تعليم اللغة العربية في الوطن العربي ص52.

25- ينظر المصدر السابق نفسه 48،49،50.

26- ينظر قضايا اللغة في العصر الحديث، الدكتور/ سمر روحي، الإمارات 2009.ص14.